

أنا وأنت على الطريق حنان الأم ومحبتها المتدفقة

كتب أحد الشباب واسمه كمال هذه الشهادة في والدته فقال يصف حاله في سني المراهقة بهذه الكلمات التي تؤكد أنها ستعود بالفائدة المرجوة على الكثير من العائلات وبالأخص السيدات. فتعالى يا سيدتي نستمع إلى ما قاله كمال الشاب:

لقد كنت في طفولتي متفوقا في دراستي وظللت هكذا حتى سن الثانوي. وهنا بدأت في التمرد على كل شيء من حولي. فتركت مجتمع الكنيسة الذي نشأت فيه، وأهملت دروسي وتعرفت على أصدقاء سوء، وأصبحت أسهر معهم وأترك أهلي يقلقون علي دون أن أخبرهم عن مكاني . بحجة أنني كبرت وأصبحت رجلا وأستطيع أن أفعل ما أشاء. ولكن على الرغم من هذا كله كانت أمي حنونة علي وصبورة تسألني بكل محبة عن سبب تغييرى المفاجئ. فأجيب عليها بأعلى صوت : (ما حدث لو دعوة بي أنا حر) فتجيب أمي بكل هدوء وحنان: (طبعاً يا ابني بس احنا عايزين نطمئن عليك لأننا نحبك).

وتابع كمال يقول: كانت رقة أمي معي تُشعرني بالضعف أمامها ولكن حتى لا يظهر ضعفي كنت أجد نفسي أصرخ في وجهها بأن تتركني في حالي. وهكذا تفاقمت الأمور. وأصبحت أسهر خارج البيت إلى وقت متأخر مع أصدقائي. وذات يوم عدت الساعة الثانية صباحاً فما كان من أبي إلا أن صفعني على وجهي ولم يكن قد فعل ذلك طوال سنوات حياتي الماضية. وعندما جاءت أمي مسرعة وأخذتني في حضنها وأخذت تبكي وترجوني أن أعود كما كنت من قبل. في الحقيقة لم أتحمل دموع أمي وكدت أنهار أمامها. لكنني شعرت بقوة داخلية تمنعني من الرضوخ لرغبة أمي وتثير فيَّ روح التمرد أكثر. فما كان مني إلا أن هربت إلى غرفتي وأغلقت الباب على نفسي ولكني سمعت أمي وهي تحاول أن تهدئ أبي وتبكي وتدعو الله أن يحميني من الشر ويصلح أموري.

لكنني في تلك الليلة لم أستطع النوم ولم يبعد عن مخيلتي منظر أمي الحزين بسببي. وهرب النوم من جفون أمي أيضاً فقد سمعتها وهي تصلي لأجلي. وكدت أقوم وأذهب إليها لكن قوة التمرد والرفض التي في داخلي قيدتني ومنعتني. جاءت الامتحانات وفي يوم الفيزياء قررت أن لا أذهب للامتحان فأنا حر وأعرف مصلحتي. حاول أبي إقناعي وأخذت أمي تتوسل إلي ولكن دون فائدة. لقد كنت قاسيا لدرجة مخيفة وخاصمني أبي ولم يعد يكلمني أما أمي فلم تتغير معاملتها معي. وعندما ظهرت النتيجة كانت الرسوب. قلت في نفسي : أهذا ما كنت أتمناه لمستقبلي؟ دخلت أمي غرفتي ووجدتني شارداً الذهن حزينا فأمسكت يدي بكل حنان وقالت: نحن نحبك ونريد لك كل الخير يا بني. كنا نريد أن تتجح هذه السنة ولكن نجاحك ليس أهم منك فالمهم عندنا هو أنت. ومهما حدث لن يقلل هذا من محبتنا لك التي في قلوبنا.

عندها لم أستطع أن أقاوم هذا الحب الذي استطاع أن يهدم جسور التمرد والقسوة عندي. فوجدتني أرتمي في حضن أمي وأبكي بشدة حتى مسحت بدموعي كل ماضي الفاشل. ثم قرأت مع أمي الكتاب المقدس وأمسكت بيدي وصلينا معا. ومنذ ذلك اليوم وأموري تسير نحو الأفضل. لقد كان نهر حب أمي الجارف أقوى من جسور تمردى وعنادي. إن حبها المتدفق استطاع أن يزيل كل قسوة في قلبي وكل تمرد وعناد. وها أنا الآن قد خطبت فتاة اسمها سوزان لفت نظري قلبها الكبير والحنون الذي يشبه قلب أمي كثيرا. نعم لقد مررت بفترة مرهقة صعبة ولولا أمي لكان الفشل والانهيال من نصيبي.

نعم يا سيدتي إن نهر الحب الجارف للأمم الحنون كان أقوى من التمرد والعناد. فالحب المتدفق لديك هو سلاح قوي تستطيعين به أن تكسبي أولادك حتى ولو تمردوا أو انحرفوا عن الطريق الصحيح. إن هذا الحب يا سيدتي هو نعمة ومنحة وهبة من الله الخالق لك، حتى تربحي به أولادك وتكسبيهم . فلغة الحب تريح دائما المعركة إن لم يكن عاجلا فأجلا.

فما رأيك سيدتي المستمعة الأم؟ هل تفحصين نفسك وتحاولين تقييم المحبة التي لديك تجاه أولادك؟ ليس الأولاد الصالحين بل الأولاد الطالحين أيضا؟ من السهل أن تحب الأم الولد الصالح ، والمحك هو أن تحب الولد الطالح العنيد والمتمرد مثل كمال الذي تكلمنا عن قصته قبل قليل.

تذكري يا سيدتي أن الله أحبك أنت شخصا قبل أن تحبي أنت أولادك. حتى ونحن يا سيدتي متمردون وعاصون عليه لكن الله بين محبته لنا إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح من أجلنا.

أجل يا سيدتي ، فلقد قدم لنا الله سبحانه وتعالى أعظم مثال لنا في المحبة فرغم عنادنا وتمردنا عليه بفعل خطايانا إلا أنه أحبنا وبذل يسوع المسيح ابنه الوحيد لينقذنا من عقاب الخطية الموت الأبدي. وبهذا الحب نحن نعود إليه ونسلم حياتنا وقلوبنا إليه لكي يغيرنا ويرجعنا إليه. فهل اختبرت محبته تعالى؟ وإذا فعلت ستعرفين كيف تتعاملين مع أولادك من منطلق محبة الله لك أنت شخصيا.
